Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« بقعة ضوء » من الماضي ، من التراث الذاتي للجماعة والفرد . وكثيرون هم كُتّاب تلك الحقبة الذين حاولوا تقليد الأساليب البلاغية واللغوية التي كانت سائدة في العصور العربية القديمة[٣] . ويبدو أن هؤلاء الكتاب قد اعتقدوا ، كما كانت الحال عند ناصيف اليازجي مثلاً ، أنه كلما اقترب الأسلوب المعاصر للكتابة من أفضل نماذج النهج القديم كلما كان تعبير الكُتّاب والمنشئين أكثر فصاحة[٤] . وقد دفع هذا التوجه نحو الفعل الكتابي ببعض النقاد والأدباء من أبناء الجيل التالي لناصيف اليازجي إلى موجة من الانتقاد الغاضب لهذا الأسلوب . ومبدأ غضب هذه الجماعة يستند إلى أن « التنوير » لا يمكن أن يعتمد على مصدر هو بحد ذاته ضمن دائرة الماضي ـ « العتمة » . لا بد من التوجه إلى الحاضر . لا بد من التقاط « بقعة ضوء » من الحياة المعاصرة واعتمادها منطلقاً للخطوة المقبلة نحو « التنوير » . فهذه جماعة أدباء المهجر الشمالي ، التي عاشت بعيداً عن جغرافية العالم العربي بقيادة جبران خليل جبران ، ترى أن مثل هذه المحاولات اللاهثة وراء التقليد المطلق للأدب العتيق كانت قوة تدفع القارىء العربي المعاصر ليكون غريباً أو أجنبياً أمام أدب زمانه[٥] .

أمّا جبر ضومط ، الذي عاش وأنتج في العمق الجغرافي للثقافة العربية ، فلم يكن أيضاً بعيداً عن مواقف هذه المجموعة الغاضبة . لقد ترجم مواقفه الحضارية عبر ممارسة تنظيرية تجنح في كثير من خطواتها نحو المنطق المعاصر والفهم العملي لدور الكتابة والتعبير . فهو يرى ، في سنة ١٨٩٦ ، أن « غاية اللغة التفاهم . . . (فنحن) نتكلم أو نكتب لبيان أفكارنا وإيصالها إلى فهم السامع أو القارىء »[٦] . من هنا ، لا تعود اللغة أو الأدب هدفاً بحد ذاتهما . اللغة ، كما يراها ضومط ، هي أداة ، مجرد أداة ، لنقل الفكر . وهدف هذه الأداة هو تأسيس تفاهم يتم بين الناس حول إدراك أفكار معينة . لذلك ، فإن المرء لا يجد أي مبرر لاستعمال مفردات وتعابير غريبة عن جو العصر الذي يعيشه ، حتى ولو كانت هذه المفردات والتعابير قد أخذت « شرعتيها » من التراث[٧] . وهكذا ، يصل ضومط ، سنة ١٩١٣ ، إلى عرض مفهومه الخاص